وقفة في قلعة بعلبك — عظمة لندن — غرائب المزارعين — ذمة قاض — شذرات — حديث الانيس — حواء الجديدة

ريزر وبندر

محل تصوير مشهور على الاخص بالحذق والدقة في تصوير الاشخاص إمراراً وجموعا والالوان وهو يمتاز كاختصاص في تصوير الاولاد تكبير الصور الصغيرة

والمحل كائن في الاسكندرية بشارع الرمل وفي شارع بورصة الفدية وفي مصر ازا البنك العثماني

الانيس الجليس

الجزء الثامن — السنة التاسعة

الاسكندرية في ٣١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٦

الموافق ١١ رجب سنة ١٣٢٤

وقفة في قلعة بعلبك

قلعة بعلبك هياكل متهدمة بجدران متداعية واعمدة محطمة يؤمها القاصي والداني للوقوف بين اطلالها والاعجاب بما تمثل للنظر من عجيب النظام وضخامة البنيان

مشهد تحتار فيه العقول وتصغر لديه النفوس. مشهد طالما استوقف كبار المهندسين للنظر في احكامه وطالما وقف امامه المؤرخ خاشعاً حائراً لا يجسر ان يلفظ عن زمان تشييده الكلمة الاخيرة

قبالة هذه الآثار المتهدمة اقف كل يوم لاستقبل الشمس وهي تضيف على الاعمدة الثابتة قبلة جديدة الى الملايين التي رسمتها على جوانبها من قبل. قبالة هذه الجدران الهائلة اقف مودعاً كوكب النهار وهو يموّه احجارها بنوره المصفر. عند هذا الهيكل ابن الاعصار الطوال اقف انا ابن الامس

وكلانا نشخص امام عوامل الطبيعة وهي تتابع بنظام واحد وبحركة واحدة على الحي المنهزم امام السنين والجماد الراسخ في وجه العصور

يلذ لي ان اناجي هذه الاطلال البوالي فاستعير لها نفساً من انفس الشعوب التي فنيت بظلها واخاطب برسمها الصافي اشرف ما يخاطب الانسان بالانسانية والشاعر بالشعور . اخاطب بالذكر والتأمل ذلك الجم الغفير الذي اصبح عفراً تطأه الارجل وقلما ينبض لذكره قلب

كثيراً ما وقفت على تلك الاثار المبعثرة المكسرة . كثيراً ما احنيت الرأس متأملا في تلك الذرات المبددة وما هي الا رماد العصور البعيدة . كثيراً ما وقفت مفتكراً مشعراً ولكنني رغماً عن ذلك لم اكتب شيئاً حتى اليوم

ما يمكن ان اسطر عن هذه الخرائب لو امسكت القلم لاهدي اخواني ما يلذ ويفيد . هل أنقل لهم قياسات الاعمدة وعلوها وعرض الاحجار وطولها . ام اكتب عن تاريخ هذه الشواهق المتهدمة ؟

لقد وصف البناء من قبل هندسة وقياساً - ومن شاء الاطلاع على هذا الوصف الدقيق فليطالع تأليف الفاضل الحاذق ميخائيل افندي الوف - وقد كتب كثيراً عن التاريخ ايضاً . اما انا فلا يمكنني ان اكتب لا عن الهندسة ولا عن التاريخ ذلك لان الهندسة قد رسمت وطبعت وهي افصح من قلم الكاتب لدى من يريد تمثل المشهد بنظرة الرياضي الحاسب . اما التاريخ فلست بالمقدم على سبر غوره امام قلعة بعلبك . هذه كتب المؤرخين من عرب وافرنج مشحونة بالافتراضات المتضاربة وكلها حدس وتخمين .

وانا لم اتعود دفع القلم الى حيث لا اعلم فلا اريد أن ازيد افتراضاً جديداً الى العديد الذي تقدم

ولهذا الحي باب هذه الفخامة المدمرة ليس كالمهندس الحامل مقياسات وحبالا ولا كالمؤرخ تحت ابطه كتاب افتراضات سواه بل كخليقة تعرف حقارتها امام عظمة الكون ومناعيل الزمن . ادخل بنفس تحب أن تمجد خالقها لدى اثار الزوال الكاتبة على الصفر وهو الباقي

ادخل بقلب خفاق ونفس تريد أن تشعر فاقف امام الخرائب كالحياة المتجددة امام الموت الشامل . امر امامها كمرور الاجيال امام هيكل الحب الذي اخلقته الايام ولم تدمره

أتأمل في كل سرداب وباحة ورواق فلا افتكر بطول هذه ولا بعلو تلك بل اقابل ما بين هذا البنيان والطبيعة الجامدة . اقابل بينه وبين الجبال والامواه والاشجار . اقيس بمقياس التأمل بين كلمة الخلق ومحاولة البشر اقابل هذه الضخامة بحقارة من شيدها وزال فاستخرج من ذلك قياساً تفهمه النفس ولا يعرف ما هيئته الا القلائل ممن يعزى اليهم الجنون في عصر الحس والارقام

اما هي ابنية ينصدع العقل لدى ما بقي منها قائماً ويعمي القلب لدى بقاياها المبعثرة على الارض وهي اشبه باشلاء اموات ممددة شاخصة الى الاكوان كأنها لا تريد ان تفنى

هنا اعمدة قائمة وقد سقط غطاؤها المديد كأن السماء التي اصبحت سقفها الوحيد تغار على ما مرت عليه القرون ان يظلل بغير اثيرها الفسيح . لا تريد

السماء أن يغطي سواها من الارض ما مرت عليه القرون فلم يعد مختصاً بزمان وشعب

هذه الخرائب اصبحت للمدى يحكمها شيء يشبه اللانهاية فلا تأوى شرقياً ولا غربياً ولا يقول احد : هذه لي . فقد دخلها امبراطور المانيا وخرج شاعراً بحقارة الوجود ولكنها كالطبيعة العذراء قائمة من ايدي شعب مجهول كما نرى الكيان الاعذر خارجاً من الازل وهو ارفع من الادراك

هنا ثلاثة هياكل تدل بما ابقت لها الايام من الآثار المطابقة لاصطلاحات الاعصر الخرافية على انها بنيت للعبادة اقيمت لمناجاة القلب البشري ولشعوره وقد تجسم امامه الهاً

هنا هيكل الشمس حيث عبدت فانحنت لديها الركب واريقت على مذابحها الدماء . هنا كان يتصور الانسان نور الحياة العتيدة ويشعر بداخله بذلك الانعطاف الساي الخارج مع النفس منذ الازل وهو انجذاب النور للنور فلا يرى ما يشابه انعطافه من الكون المنظور غير هذا الكوكب المتلألي في الافق كأنه المجد والرجاء فيخضع امامه ويدين له

هنا على هذه الحجارة الملساء التي صقلتها اقدام الزمان كم جثت ركب وكم سقطت دموع كم تولد من رجاء وكم مات من تذكار كم ارتفعت امال وحبطت اماني كم تلاعبت الانفس بالحياة وتسلط المعتقد على التعقل هنا كم حاول الفكر الانساني أن يعطي الجماد فكراً ونفساً فقصرت اعماله ولم تتمكن من ادراك الحقيقة الحية السرمدية القائمة بالتجرد

هنا كان شعب لا اعرف من هو كانت حلقة كبيرة من سلسلة الانسانية

الغير متناهية امام الفكر كانت حلقة من هذه الحلقات المرتبطة التي تتدلى بتتابع الى واد مظلم وبئر عميقة فوهتها الموت وقعرها لا ينظر

هنا كانت قلوب تبد وتحب بين السرير والكفن كانت تشعر بكل قوى الشعور وكفى دليلا على ذلك هذه الضخامة الباقية من نتائج اميالها

هنا كان الحب قوياً كالموت ولكن زائلا كالحياة والغيرة محرقة كالجحيم ولكن عابرة كالظل . هنا كان الحكم والدين يعظمان كالوهم المتسلط والاستعباد والتدين يسفلان كالحقيقة التي تسام . كان البغض انتقاماً والحسد يدفع الى النزاع كانت الاميال افعالا والافعال تقوى على الاجساد فتستعير من خطى الزمان ما يدفعها الى المحجة المقصودة . هنا كان الصبر يتولد من اللجاجة والثبات من كبر الامل هنا كانت محجة دين يخضع له الكل بعمامة لانه تولد من حب السيادة وساعده الوحي الطبيعي من حاجة العبادة حين تجلى مناجياً قلوباً تائهة بين الاستعباد والعبودية بين الشرف المسكر والذل المميت وكلاهما قبر الوجدان

هنا تجلى الله للانسان بواسطة الضمير ولكن الضمير المغشى بحب المجد والفتوح لم يفهم من صفات الله سوى العظمة والسمو والجمال اما المساواة والحلم والحب فلم يفهمها

ذلك لان الضمير ذلك المهبط الحي للحكمة السرمدية ذلك المقام الذي تتجلى به الحقائق لدى كلمة الله لهو عرضة للضلال اذا لم يصدو به ذلك الصوت العظيم المنحدر الى العالم من اعالي جلجلة الفداء

الضمير هيكل للشعور فكلما تجلى به انعطاف اقتعد منه غارباً وسار عليه الهاً بالصورة التي يفهمها

الانسان مفطور على التدين لانه عبد مطرود يحن الى الكف التي اخرجته من عدن ويتوق الى الفم الذي لفظ لعنة الارض بسبب مخالفته للشريعة . وهو لم يصحب معه الى هذه الدنيا المحسوسة شيئاً من عالم التجرد سوى وجدان ضعيف يرتفع بالبداهة الى ما فوق فتصده ظلمات الاوهام الى ما اسفل

هذي هي الهياكل المدمرة امامي الهاوية باصنامها وزخارفها الى الارض الساقطة مع اعتقاد من بنوها والمحطمة مع اوهامهم الفخيمة . اراها تناجي تأملي بحقيقة سامية اريد ان اهتف بها امام الافكار الجديدة المندفعة الى التلاعب بالوحي والاستناد على مايدعونه وحي الطبيعة المجرد لايجاد شريعة وتصور معاد

يا بني القرون المتأخرة وقفةً معي بين هذه الاطلال البوالي . فترة عند هذه الآثار التي انما ابقتها الادهار عبرة يمثلها الله للقلب المرتقي بالتأمل الى اعالي الايمان . تأملا عند هذه الجوامد البكماء وهي ناطقة فان العناية لم تدخرها مثالا للنقش وعلما للهندسة بل ابقتها بعد قرطجنة وقد سحقت بعد بومباي وقد محقت . ابقتها لتعلمنا ان العقل ان لم يستمد من العلاء ادراكا فهو خابط باوهام صبيانية وان القلب ان لم يتعلم الحب من الشريعة الازلية فهو بطر فاسق

هنا كان شعب مثلكم ايها الطبيعيون يريد ان يجد من الطبيعة الهاً ويولد من الوجدان شريعة قبل أن تصدو على الارض كلمة الحياة . فارتاروا الى الاله الذي عبده والى الشريعة التي سنها

عقول سامية وقلوب قوية اقدمت على رفع هذه الهياكل بناء تنحني امامه هندسة هذا العصر وجنود امواله . تلك العقول ارادت أن تدرك

الاله فعبدت الشمس تلك القلوب ارادت ان تفهم الحب فوجدت الفواحش

وانت ايتها البدعة الطالبة وضع الكلام المنزل في مكان بعيد عن الالة لانها لا تحتاجه على زعمك ايتها البدعة الطالبة عبادة الاله وتوليد شريعة من مجرد وحي العقل اراك الان بعيدة جداً عن بلوغ القوة التي كان بها الشعب الذي بنى هذه الهياكل . انت الان لا تعبدين شيئاً مما يعبد وعبثاً تريدين الاستغناء عن الوحي الالهي بتوسيع المعارف وترقية الشعور لانه مهما ارتقى عقلك فسوف يبقى دون تلك العقول التي ابقت امامنا هذه العجائب وهب انك بلغت تلك القوة ولحقت بذلك الشعب فلست بعابدة في ذلك الحين الا ما كانوا يعبدون

ما اعظم هذه البنايات الشامخة امام النظر وما احقرها امام النفس الشاعرة بالعظمة الغير منظورة . ما معنى هذه الاروقة الواسعة ما هي فائدة هذه النقوش التي استغرقت من الحياة اعواماً ومن الفكر كل القوى التي كان يجب أن ترتقي الى ما فوق

لماذا تعلو هذه الاعمدة الى قلب السحاب ؟ هل رفعت لوقاية الانسان من الحر والقر . اي جسد كان علوه سبعة عشر متراً حتى رفع الاثقال الهائلة الى ذلك العلو ليأوي اليها ويستظل بها ؟ بل هي عوامل تلك النفوس التي ضخمت القلب حتى ضاق به الفسيح فافسح من ضيق المتاعب مجالا لامتداد نظره دون جدوى . ما هي تلك القوة السامية المتولدة من اعتقاد كاذب بل ما هو ذلك الاستعباد الهائل الذي قاد الالوف من مخلوقات الله لوقف الحياة على عمل ارمى به من العبث قدر ما اتسع وعلا

دخلت الى هذا الهيكل وبعيني بوارق الاعجاب لدى فخامته ودقة تركيبه

اغصانها الى الارض وهنالك بعيداً عن اثار متاعب الانسانية السادرة في الضلال اجلس مفتكراً بالآله الحق الذي يتخذ القلوب هيكلا اعظم من هذه الهياكل الفانية

. . . . . .

بقي لي ان ارى هيكلين احدهما لباخوس والاخر للزهره . ذلك حيث عبد الجنون وهذا حيث احتقر الحب

أمر برواق طويل يعلوه سقف عال تحمله اعمدة هائلة

على الارض وفي السقف المتهدم اصنام نحتت في صخر صلد لم يقوَ الزمان على تخديش نتوآته البارزة الممثلة الهة متعددي الاشكال والهيئات الا ان ايدي العرب او من تقدمهم لم تبق لتلك الدمى ما كان يعيننا لو بقي على درس اخلاق ناحتيها. الصدور باقية ولكن الوجوه محطمة تحطيما فلا فم ولا أنف ولا جبين ولا عين وهذه كلها لغة الاخلاق فليتها بقيت لتروي لنا تلك الافكار التي جالت منذ الوف من السنين بروؤس حللها الفناء . ولكن على بقايا هذا النحت ارى صوراً رائعة بالجمال وحسن التركيب صدوراً بارزة واكتافاً قوية تدل على الانفة والاقتدار . فهل ان ذلك الشعب الناحت اخذ صورة التمثيل عن اجساده ام انه اخذها عن صور خياله ؟

لا اعلم ولكن على كل حال لا املك نفسي عن الاعجاب بمهارة ذلك الشعب وكلما رأيت دليلا جديداً على سمو تخيله وحسن ذوقه يتجدد صوت تلك الحقيقة السامية في اذني

مهما ارتقى الفكر واشتدت القوى بالانسان فهو آلة مضحكة لا معقول باعماله ان لم تكن لله . مهما ارتقى الانسان بافكاره ولم تكن رأس حكمته معرفة

الله وعبادته بالروح والحق فهو خابط بالاوهام يبني فيكون بناؤه ضخماً ولكن ما هي تلك الضخامة ؟ يعبد ولكن من يعبد ؟ يحكم الى امد ولكن كيف يحكم ؟ يسن شريعة ولكن على ما ترسو تلك الشريعة وما يكون اساسها يا ترى ؟ ـ ضخامة بلا عظمة . عبادة باعجاب وكبرياء ودون أمل . حكم بمطلق الارادة وبمجرد الاهواء . شريعة ترسو على المقاصد وهي تتغير فتنقلب كل يوم حسب الاوهام والاميال

هكذا كان شعبك القديم يا بعلبك واكاد ان احكم بل اجزم بان ما بين نخامتك لم تشعر نفس بامل خالد ولم ينبض قلب بحب مقدس اكيد لم تذرف دمعة على شقاء ولم تمد يد لضمد جراح . ومن كانت هذه حالته في الشعور وهذا نصيبه من ادب النفس فلا بدع اذا رفع هيكلاً لاله الخمر وتمرغ عند اقدامه باوحال السكر رأس المعاصي ..

لم هذه الجدران المرتفع عليها من الزخارف ما انفقت الاعوام في تحته هنالك في هيكل الشمس اشتغل الشعب ليعبد ما خاله الهاً باعثاً الحياة اما هنا فاي تخيل طرأ عليه حتى يجعل الجنون مؤلهاً ويرى اضاعة الفهم موضوعاً لرفع هيكل ؟

كيف كانت تتم المجتمعات هنا ! كيف كان العقل يعبد الجنون والقلب يخشع امام مضيع كل خشوع ؟

كيف كانت تلك الادمغة الغريبة التي تعبد كل شيء يتولد من تصورها حتى السيئات

اقف عند هيكل باخوس فلا اشعر باقل تأثر اخال نفسي ماراً امام حانة من حانات العصر فلا يتولد بافكاري شيء اخطه . هنا كان الشعب القديم

اما الان وقد حللت الفكر من عقال هذه الاعصر التي تميل لكل رائع بالمحسوس فقد اتعبني النظر الى هذه الابنية التي لو رأيتها وبها مجدها القديم لاحتقرتها امام عظمة الضمير فكيف وانا اراها على ما هي تضم بنفسها من دلائل الفلسفة ما يحتاج المتمعن أن يولده من نفسه

أنت جميلة يا قلعة بعلبك لدى من يؤمك وفي مبداه حب العظمة والفنون ولكن جمالك يصبح وقراً ثقيلا على الفكر الساذج الذي لا يحب سوى عظمة النفس بين مجالي الطبيعة العذراء . انت عظيمة ايتها الصخور المنحوتة بايادٍ تحولت الى رماد ولكن عظمتك تعذب النفس التي تعبد مبدأ العظمة اله الكون

لماذا بلل ترابك عرق المتاعب لماذا تكسرت اعضاء بشرية تحت ضخامتك لماذا سحقت عظام وتحطمت رؤوس وانحنت رقاب لماذا كانت القوى تحصر لتفوق الاقتدار وتقوم بهذه الاعمال التي استغرقت القرون حتى قاومت القرون . هل ان تلك المتاعب كانت لتجديد حياة ابلتها المعاصي ام لاحياء آيس بتجديد الامل ام لتجفيف دمع اليتيم ورفع ضيم الشقي!

ان لم تكن لمثل هذه المقاصد شيدت فلماذا تعب البشر بها واي شيء ترجوه البشرية من الجهاد بالكد اذا تحولت عن الرحمة والعدل وهي تمر بتتابع الى قعر الموت !!

اواه ما اوسع مطامعك يا قلب وما اقوى غرورك يا حياة

نهلة ماء ترويك وانت تذخر اظمائك بحراً زاخراً . قطعة نسيج تكسوك وانت تعالج النبات والمعادن لتتدثر بالحرير وتتحلى بالذهب . كوخ يؤيك وانت ترفع الاعمدة الى قلب الفضاء وتؤسس الشواهق في عمق الارض

لتلقى رأسك المتعب تحت ظل عظيم ولكنه باطل . لست ممن يحبون الخمود بالفكر والكسل بالحياة ولكنني آسف على المتاعب التي توسع المطامع ولا تفيد الانسانية واحب اليّ من هذه المناظر ان امر على اطلال قرية منهدمة بجدران لم تدو الارض لسقوطها واروقة لم تشعر الطبيعة بانطباقها فهنالك ارى الفناء اقل رهبة والموت اضعف شوكة لان مظاهر المقاومة الضعيفة تجعل القلب اقرب الى التسليم للمشيئة الازلية . هناك اقف واذرف دمعة بطيئة بسكون الندى واترحم على قسم من البشرية اتى الحياة وتوارى خلف حجب الموت دون ان يجاهد بالضيم ويولد لنفسه الشقاء . هنالك لا ارى قبر اخ قتله اخوه او ضريح اب خانه ابنه . هنالك لا ارى الهياكل تنطح السحاب وبقايا مساكن الشعب تكاد لا ترى . هنالك لا ارى اثار العتو والاستعباد ولا يدوي باذني صوت الحب المعذب لارضاء واجبات كاذبة ...

اما هنا فانني ارى كل هذه الفظائع اسمع حفيفاً يشبه صوت الانين الذي تدفعه الريح في ليلة ممطرة ولعل ذلك من مرور الهواء على النوافذ التي خرقها الدهر بين الابنية المتداعية الا انني اسمع هذا الانين برهبة وخشوع بحزن وأسف . واريد ان ارفع رجلي عن هذا العفر الذي داسته اقدام المستعبد والعبد داسته ارجل الذي خدع فساد والذي خضع فضحى كل شيء حتى قلبه

اريد ان اخرج من هذا الهيكل الذي تاه فيه الوجدان فقد جرحت عيني هذه المناظر التي لا تحفظ شيئاً يدل على عطف ورأفة واشفاق بل كلها عتو وضلال وعبودية

اريد ان اذهب الى غدير ماء صاف يسيل بهدو تحت شجرة تتدلى

يجتمع ليشرب ويشمل ويرقص . افعال صبيانية ! ولكن لا املك نفسي من التعجب من قوم كانوا يعرفون أن يجسموا اصغر الاوهام فيجعلوها اساساً اولياً للحياة . ولكن لم يعرف ذلك الشعب بانه كلما بعد عن الوسط الطبيعي يقترب الى حيث يخدر الشعور ويفقد القلب ادراك اللذة الحقيقية

خرجت من هيكل الشمس صامتاً حائراً اما هيكل باخوص فاخرج منه متأسفاً لاعناً هذا الاله السافل وقد داخلني بعض الاحتقار لارباب هذه الفنون الجميلة شعب يؤله ما تعجز عنه قوة الارادة والفكر وهو يعبد جنونه ويؤله امياله باضاعة وجدانه الضعيف

ادير خطواتي الى هيكل الزهرة وهو خارج السور الجامع لهيكلي الشمس وباخوص

هنا اعمدة قلائل اقل ضخامة من تلك قائمة بشكل مستدير يشغل قطعة صغيرة من الارض وقد احتاطته البساتين وعكفت عليها الاشجار

امام هذا الهيكل الصغير اشعر بامتداد في الفكر وتعمق بالتأمل يظهر لي ان في هذه الفسحة الصغيرة كانت الركب تحنى بخشوع صادق وتذرف الدموع باخلاص . كانت مناجاة القلوب للزهرة كسكون المعلول امام العلة هنا كان شيء من الحب السامي متسنما عرش القلوب ولكنه لم يكن يلبث ان ينزل عن ذلك العرش الذي اوجدته العناية عليه لمغالبة الفساد . لم يكن يثبت بالامانة والتقديس لم يكن الا خيالا يظهر ملاكا ويتلاشى شيطاناً

هنا كم فتح قلب للاحتياج الابدي بالعطف وتبادل الاخلاص كم اختلجت عواطف كانت كتموجات الشفق قبل ان يدهمه الظلام . هنا كم جثت عذراء مولودة من نظام مفسود وفي قلبها شريعة الحب الابدية تناضل

الاختلال وتريد ان تستقر على ما اراد الله . هنا كم تجلى الحب على ما هو محفوفاً بجنود الولاء والانعطاف والامانة والثبات فانزله الشعب على حضيض مقفر وجرده من جنوده يعبده مفرداً معرى عن اتباعه وهمه كل جماله ..

في ذلك الحين لم يكن دوى بعد صوت المعلم العظيم هاتفاً بتوحيد الحب وترتيب الهوى لم تكن كلمة ـ الى الموت ـ تدوي في هياكل الحب لان الازلي كان لم يدفعها بعد الى قلب الحياة

هنا كم وضع كف بكف وغرق نظر بنظر والقلب يختلج بالمبادي الاولية للحب يريد ان يهتف ـ الى الموت ـ فتخنق صوته نظامات البشر وضلالهم واهواؤهم ويتلجلج ذلك الصوت متلاشياً امام الزهرة الباسمة وهي مجردة عن الوفاء والثبات . في ذلك الحين كانت المرأة سائدة بجسمها لا بقلبها كان لها حق الظهور بالالهة ما دام لها جمال فكأن نسبها الوحيد للبشرية لم يكن مرتبطاً بغير القوام واللحظ اما الامومة والبنوة والاخاء فكانت لا شك معدمة عندها وقد محاها الشبق والهوى من لوح شريعتها الابدية

دليلي على ذلك :

حب الاب لابنه هو كعطف الكل على بعضه فلا اعلم كيف كان ذلك العطف حينما كان يتولد اولا من اميال متنزعة وينتهي عند التسليم لتمتع وقتي تمتع اذا الفه الذوق رضي به ولكن لا يمكن للوجدان ان يقبله مهما تغشى بظلمات العادات

حب الاخ لاخته يرسو على اعتبار كرامتها بعيني نفسها فلا اعلم كيف كان ذلك الاخاء وما هي روابطه في عهد كانت به الاخت مملوكة من الكل ما عدا نفسها وهي بهذه الحالة ابعد كأن يحق له واجب الاخاء

حب الزوج لشريكة حياته يرسو على الانانية الشريفة اي ان الرجل يخال نفسه امام قرينته الكائن الوحيد القادر على مناجاة قلبها وتحريك عوامله فيكون على ثقة بانه اول محبوب واخر من يحب فلا افهم معنى تمتع الاقدمين بحب موهوم لا يمكن ان يتولد لمجرد تقديم كساء جميل وبناء قصر فخيم . لا افهم كيف كانت تلك العقول الذكية ترضى بمخادعة نفسها واعجب من عاقل يعهد الى سيفه وماله بتوليد ما عجزت عنه صفاته الذاتية . فكأن الانسان لم يكفه ان يكون محروماً من كل صداقة حيث لا رابطة الا القوة الجائرة او الصالح الخاص بالمخادعة والدناءة حتى انه جعل هيكل قلبه معتركا للضعف والقوة مكاناً لمقاومة الواجب للضرورة . موضعاً للعبودية حيث لا يجب ان يكون سيد وعبد ...

حب الابن لامه لامر من اعتبار الصفات اكثر من معرفة الجميل . لا يلد حب صادق الا من امانة صادقة لا يمكن الولد ان يحب امه اذا عرف أن فؤداها تبيعه كل يوم بواد جديد فكأنه يشعر اذ ذاك انه ابن هوى ذميم وليس ابن اخلاص وثبات كما يطلب الشرع السامي الذي يشعر به الطفل من حركات وجدانه الخارج غضاً من جنان الارواح

كتبت هذه الافكار وانا امام هيكل الزهرة افتكر بعادات شعب قديم ظاناً انني اصور حركات قلبه وها أنذا ارى بأسف ان الذي اكتبه عن قوم طواهم البلى منذ الوف من السنين هو ما يجري في الغة ترفض الشريعة المنزلة وتريد ان تستغني عن الهها !!!

سقطت يا هيكل الزهرة الى الارض وتهدمت جدرانك الا انك للان لم تبد . في كل مدينة لك شعب ولك عبادة في كل قلب ..

لقد بناك شعب ضل لانه لم يسمع الحقيقة الازلية فأسف عليه ولا اللومه ولكنني لا اعلم ما اقول عن شعب سمع بالهداية فرفضها مندفعاً الى الضلال !!!

اخرج منك يا قلعة بعلبك وفي نفسي اسف وخشوع لا اخرج بقلب حقرته عظمتك فانني عرفت مبدأ تلك العظمة فما هي الا ضخامة بلا محبة . لا اخرج مبهوتاً ومعجباً بهندستك ونقوشك فهي مرتبة على قياس ولكنها فارغة من كل معنى وجمال . ولكنني اخرج آسفاً على شعب كان يمكنه ان يعيش سعيداً فتلاشى بين الخرافات والاباطيل

اقف لاخر مرة بين هذه الاطلال متأملا فيما كان فيما مضى مقام الجاه والترف وهو الان مقام الحيوانات الزاحفة لا طير مغرد ولا شجرة تلوح بين هذه الجدران . لا اسمع حركة تعلن الحياة . ولا ارى شيئاً يناجي القلب الحي بسوى دلائل الزوال . امام هذا البرهان العظيم لحقارة البقاء اشعر بانني واقف على شفير الموت وما بيني وبين الرمس الا قيد ذراع

اسند الرأس على هذا المرمر المتداعي ورجلي ترتجف على الارض ناسياً مسير الزمان وكل علاقة لي بالحياة . لا اعرف من انا ولا باي قسم اقف على الكرة الارضية . ارى الكون باسره مجسما امامي بهذه الاحجار الضخمة المكسرة وقد ابتدأ الظلام ان يرخي عليها ستاره الرهيب

ظلمة يوم تنسدل على ظلام قرون . سكون ليل يجلل ما ورث الجمود من حركة الالوف من السنين

هكذا يسقط ستار الموت بلحظة على الحي وهو في كل يوم يموت .

هكذا يظلل الانسان جنح الفناء

ما معنى غرورك ايتها الحياة ؟

ما معنى شعورك ايها القلب ؟

على الافق الصافي حيث تترجرج آخر ذرات النهار ارى نجماً يلوح باصفرار يتحول رويداً الى حمرة نارية تأسر النظر وتوقف كل حركة بالفكر . هناك من بعيد من علو السماء الى سطح الارض الى حي يناجي عالم الموت ارى اشعة تنزل بعطف لتنير التصور التائه

عليك السلام يا نجمة المساء . انت الساطعة بنورك اللطيف بعد ان تلاشى كل نور مبهر وحركة مضلة

في هذه الساعة حين يسقط من السماء على الارض شيء اشبه بجناح ابدي ليسكت صوت الطمع ويغطي بوارق الآمال الكاذبة . في هذه الساعة اراك يا نجمة المساء شبيهة بذلك النور السماوي الذي لمع منذ عشرين قرناً في افق غشاه الظلام فاقف امامك معلقاً فيك ابصاري وانسى لدى نورك هذه الخرائب التي تعلن الفناء الدائم للفكر المظلم ذاكراً ان ما وراء هذه الضخامة المنقلبة والسماء التي تجللها عظمة ثابتة وفخامة لا تزول

بعلبك — فليكس فارس

﴿ عظمة لندن ﴾

تقلنا فيما مضى بعض الشيء عن عظمة لندن وقلنا ان نقل كلما يتعلق بها وما تحويه مما يقتضي مجلداً ضخماً ولكنه لا بأس من نقل بعض ما نمر به عنها فانه لا يخلو من فكاهة ودلالة على عظمة ذاك البلد بل القطر الواسع العظيم

فلقد ورد مما يتفكهون به عنها ان ايرلندا وهي قطر كبير تستطيع ان تحوي بمساحتها من مقدار لندن ٢٧٠ بلدة مثلها ولكن اهلها مع ذلك ينقصون ربع مليون نفس عن اهل لندن وحسبوا ان اوستراليا وهي قارة مشهورة بعظمها تستطيع ان تضم باتساعها خمسة وعشرين الف لندن ولكن اهل لندن يفوقون اهلها عداً

وانه مما يذكرونه عنها انه يجول ما بين الساعة الثامنة والعاشرة صباحاً ٣٢٥ الف نفس في الميل المربع الواحد منها وهو عدد يبلغ اهل الاسكندرية تقريباً وانه يمر في احدى ساحاتها الكبرى في مدة اليوم الواحد ٢٢ الف مركبة ونحو ٧٠٠ مركبة جامعة وخصوصية في مدة الساعة الواحدة من كل يوم . وحسبوا انه لو اجتمع اهلها وتعاقدوا يداً بيد لوصلوا الى اقصى اوروبا ممتدين من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وانه لو حسب عدد الذين يحق لهم الانتخاب فيها لبلغوا عدد اهل منشستر كلهم بنسائهم واولادهم . وانه يتزوج بها كل يوم ١٠٨ رجال ونساء . وانه لو حسب عدد مواليدها كل سنة لتألف منهم بلدة متوسطة ولو توفي في بلدة متوسطة مقدار من يتوفون بها كل سنة لاقفرت . وذكروا انه لو رُصت منازلها